حملة علاقات عامة أمريكية في المنطقة!

05-10-2005

وعمليا لم تفلح مشاريع الأمريكيين "حسنة النوايا" في أفغانستان والعراق على سبيل المثال وغيرها من بؤر التوتر في العالم في تخفيض حجم العداء لكل ما هو أمريكي. وربما يشخص كاتب الافتتاحيات الأمريكي المعروف في صحيفة "نيويورك تايمز" توماس فريدمان الوضع تماما بقوله: "إننا نخصص وقتا كبيرا للجدل مع أنفسنا، أو للدفاع عن أنفسنا، وقليلا جدا من الوقت للنظر إلى المسلمين العرب مباشرة لنقول لهم الحقيقة كما نراها".

بقلم [طارق ديلواني]

لا تخفى أهداف ومبررات الجولة التي تقوم بها كارين هيوز مستشار الرئيس الأمريكي جورج بوش لشؤون الدبلوماسية الشعبية في الخارجية الأمريكية والتي شملت مصر والسعودية وتركيا.

* "هيوز" في هذه الجولة اختارت ثلاث دول عربية وإسلامية حليفة لها !!

ثم جاءت المفارقة التالية بالتركيز على لقاء القيادات الدينية في الدول الثلاث؛ باعتبار أنها الأكثر تأثيرا في شعوبها وحتى أولائك اللبراليين الذين اختيروا للقاء المستشارة الأمريكية في كل من البلدان الثالثة كانوا أكثر هجوما على السياسة الأمريكية.

وبعيدا عن الحوار العبثي الذي تقوده هيوز منذ أيام متبوعا بجملة من التصريحات الغبية والسخيفة، فإن مجرد اختيارها لهذه المهمة بحد ذاته أمر يبعث على السخرية أيضا، بالنظر إلى سجل هيوز الخال تماما من أي تجربة سابقة أو خبرة كافية في فهم منطقة الشرق الأوسط عموما والعرب والمسلمين على وجه التحديد.

حملة العلاقات العامة أو جولة" الاستماع" إن صح التعبير التي تقودها هيوز باسم الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأيام محكوم عليها بالفشل الذريع لعدة أسباب: أولها ما سبق ذكره من قلة خبرة "هيوز" المقربة من الرئيس الأمريكي بوش والمسئولة عن رسم صورته، وهي لا تملك أي خبرة في مجال الدبلوماسية الخارجية سوى ما تعلمته خلال مرافقتها لبوش في رحلاته خلال الفترة الرئاسية الأولى، والأسباب الأخرى تتراوح بين الاختيار السيئ لتوقيت الحملة في ظل احتقان وتوتر شعبي في الشارع العربي وغضب عارم على كل ما هو أمريكي. فضلا عن استمرار مسببات تزايد الكراهية لأمريكا في العالم العربي بدءا من احتلال العراق مرورا بأفغانستان وانتهاء بالدعم غير المحدود للكيان الصهيوني، يف لوجه أمريكا أن يتجمل وسط هذا القبح كله.

وفي بنية العقل الأمريكي للحوار والتقارب، ثمة خلل كبير أيضا يقوم على تجاهل الحملة الأمريكية لهدفها الرئيسي والمباشر، وهي الشعوب العربية والإسلامية، والتوجه بدلا من ذلك إلى الأنظمة ودوائر صنع القرار وهو خطأ تقع فيه هيوز، كما وقع كثيرون آخرون من قبلها لم يدركوا حتى اللحظة أنهم يديرون حوار "طرشان".

ثمة من يعتقد في أمريكا نفسها وضمن دوائر صنع القرار أيضا، أن ما يحدث أضر بسمعة أمريكا أكثر بكثير مما أفادها، وهؤلاء يوجهون انتقادات لجولة "هيوز" في المنطقة تجاوزت قضية المفاهيم واستهدفت بشكل مباشر السياسة الأمريكية التي لا تزال مرفوضة، فيما يدور جدل أمريكي غبي عن أسباب عدم تقبل أمريكا لدى العرب والمسلمين.

واليوم أيضا يدور جدل أمريكي داخلي مفاده أن على دوائر صنع القرار في البيت الأبيض الالتفات إلى حملة علاقات عامة داخلية تعيد ثقة الأمريكيين بدولتهم وكيانهم، بدلا من التوجه إلى الخارج، فعن ماذا يبحث الأمريكيون ؟!.

ما يمكن فهمه إذا من جولة هيوز هو حجم التخبط والارتباك في البيت الأبيض وتجاذبات سياساته ما بين الداخل والخارج، وإدراكه لحجم ومستوى أزمة الولايات المتحدة مع العالمين العربي والإسلامي.

فمنذ الحادي عشر من سبتمبر وواشنطن تقود حملة لتجميل صورتها البشعة في عالمنا دون جدوى رغم كل ما سخر لذلك من مقدرات وطاقات وإمكانيات وضغوطات.

ولربما توضح لنا نتائج استطلاع أعده مركز الدراسات الإستراتيجية في الجامعة الأردنية، في خمس دول عربية، هي الأردن ومصر وفلسطين وسورية ولبنان، ويتضمن صورة أميركا في العالم العربي بعنوان "الشارع العربي في زيارة جديدة: بحث من الداخل.. دراسة العلاقات بين العرب والغرب" ..ويوضح هذا الاستطلاع حجم العداء المتزايد لأمريكا إلى جانب الوعي الواسع فيما يتعلق بسياسات أمريكا.

وفي مقال للصحفي "بريان نولتن" بصحيفة "انترناشونال"، ثمة دراسة مهمة وجديدة تقول بأن الغضب والعداء لأميركا في الدول الإسلامية ينتشر باستمرار بين فئات عمرية واقتصادية محددة.

الدراسة ذاتها التي أُجريت لمجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة استنتجت أيضا أنه من الممكن تخفيف

العداوات إذا تبنت الإدارة الأميركية نبرة أكثر تواضعا واستمعت عن كثب لهموم المسلمين ووافقت على الاختلاف فيما يتعلق بالقضايا الرئيسية، مثل العراق والصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

وهناك حوار وقنوات اتصال أمريكية عربية إسلامية فيما يتعلق بمصادر الكره وأسبابه وظواهره والمدى الذي يعتمد عليه فيما يتعلق بالأفعال الأميركية أو إساءة فهم هذه الأفعال.

فمراكز الأبحاث والدراسات وبعض جماعات التمويل الأجنبي تقوم اليوم بهذه المهمة من خلال طريقتين، الأولى قياس مدى الغضب من الولايات المتحدة، والثانية محاولة تحسين صورة أمريكا في عيون الناس وتجميلها.

وفي اتجاه آخر، فإن آليات اختراق العالم الإسلامي والعربي أمريكيا تغيرت وتبدلت، وبات الإعلام أحد أهم وسائلها، والحديث هنا عن الإعلام العربي "المتأمرك" وليس الإعلام الأمريكي "المتعرب" ..فلم تعد الولايات المتحدة بحاجة إلى افتتاح مشاريع إعلامية ضخمة لبث رؤيتها والتبشير بديمقراطيتها، طالما أن الكثير من شاشات الفضائيات والصحف العربية تقوم بهذه المهمة يوميا.

وفي مقابل هذا النشاط الأمريكي الواضح، هنالك خمول عربي إسلامي في حملة العداء لأمريكا..فأين هو دور الأحزاب العربية والنقابات المهنية ... وأين هي لجنة المقاطعة العربية لإسرائيل وللولايات المتحدة ..وأين قراراتها الملزمة..

وماذا عن حملات المناهضة ..وماذا حل بلجان المقاطعة التي تشكلت هنا وهناك ...

فاللافت أن جسامة وهول ما يحدث في المنطقة لا يقارن بالفظائع التي دفعت العرب لـ"المقاطعة" قبل سنوات..
وبالعودة إلى الحملة الأمريكية نقول إن ثمة عقدة أمريكية تجاه كل ما هو عربي وإسلامي.

فأمريكا اليوم ورغم كل ما تبذله من حملات علاقات عامة هدفها تحسين صورتها في العالمين العربي والإسلامي، تقع في مطبات وصعوبات في العلاقات العامة والاتصال مع هذين العالمين.

وعمليا لم تفلح مشاريع الأمريكيين "حسنة النوايا" في أفغانستان والعراق على سبيل المثال وغيرها من بؤر التوتر في العالم في تخفيض حجم العداء لكل ما هو أمريكي. وربما يشخص كاتب الافتتاحيات الأمريكي المعروف في صحيفة "نيويورك تايمز" توماس فريدمان الوضع تماما بقوله: "إننا نخصص وقتا كبيرا للجدل مع أنفسنا، أو للدفاع عن أنفسنا، وقليلا جدا من الوقت للنظر إلى المسلمين العرب مباشرة لنقول لهم الحقيقة كما نراها".